مكانة اللغة العربية عند علماء الحديث
تحصيلا وتأليفا

أ.د. عبد العزيز دخان

مقدمة

لقد كانت اللغة العربية . وما زالت . الآلة التي تكتسب بها العلوم والمعارف، والوعاء الذي يحمل جميل المعاني، وجيّد الأفكار، وينقلها من عقل إلى عقل، ومن مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، لذلك، لا غرو ولا جرم أن تكون لها المكانة السامية، والمنزلة العالية في اهتمامات العلماء، تحصيلا، وتأليفا، ولم يكن علماء الحديث ورجاله ليشذوا عن هذا، أو يذهلوا عنه، أو يزهدوا فيه، ولذلك فقد ضربوا فيه بالسهم الأكبر، والنصيب الأوفر، فانصرفوا في بدايات حياتهم، وأوّل نشأتهم إلى النهل من معين هذه اللغة الجميلة، نحوا وصرفا وبلاغة، فاستقامت ألسنتهم عليها، وجرت أقلامهم بها، ومن ثمّ كانت وسيلتَهم وطريقَهم إلى تحصيل العلوم والمعارف الشرعية، ثمّ لم يكتفوا بذلك، بل كانت مشاركتُهم في ردّ الجميل لهذه اللغة، فأبدعوا في التعبير بها عن علومهم ومعارفهم من خلال مصنفاتهم الكثيرة التي تضمنت جوانبَ من شرح الحديث، تتعلق بالنحو أو الصرف أو البلاغة، أثناء شروحهم لكتب الحديث، أو تأليفهم في علومه، بل إنّ كثيرا منهم لم يكتفوا بذلك، وإنّما أدلوا بدلوهم، فألفوا مؤلفات من صميم معارف اللغة وقواعدها، وكلّ ذلك كان تعبيرًا واضحًا وبرهانَ صدقٍ على هيامهم بهذه اللغة وحبِّهم لها وتعلّقِهم بها، وإنزالِهم لها من أنفسهم المنزلةَ التي هي جديرةٌ بها، كيف لا، وقد اختارها الله تعالى لتكون اللسانَ الذي أنزل به كتابه العظيم؛ ليكون حجةَ الله على خلقه إلى قيام الساعة.

في جوّ هذه المعاني التي سقناها يأتي هذا البحث الموسوم بـ (مكانة اللغة العربية عند علماء الحديث تحصيلا وتأليفا)؛ ليجلّيَ حقيقةَ هذا الاهتمام الذي أولاه علماءُ الحديث للغة العربية، ومدى المكانة التي نالتها من جهودهم في مرحلة التحمّل والتحصيل، ثمّ في مرحلة العطاء والتصنيف والتأليف، وذلك من خلال استعراض بعض مشاهير علماء الحديث وبيان مدى اهتمامهم بهذه اللغة، ونماذج تطبيقية من سيرهم الذاتية وعلاقتهم باللغة العربية، وإسهاماتهم في خدمتها تدريسا وتأليفا، والله من وراء القصد.

الدافع إلى كتابة هذا البحث:

إنّ الذي دفعني إلى الكتابة في هذا الموضوع ما رأيته من قلّة الاهتمام باللسان العربي في كتابة البحوث المتعلقة بالحديث وعلومه، وعدم الاهتمام بالأخطاء الفظيعة التي نراها في كثير من رسائل الماجستير، بل وحتى الدكتوراه، وهو عيب كبير، فأردت أن أبيّن أنّ هذا التقصير الواقع مذموم جدا، وقد كانت سيرة علماء الحديث حافلة بالاجتهاد في تعلّم هذه اللغة، وفي التنبيه على أهميتها في فقه الحديث ومعرفة معانيه، وأنّ هذا الفصام النكد بين اللغة وعلوم الشريعة الذي نراه عند بعض طلبة العلم والباحثين في الحديث وعلومه لم يكن معروفا إطلاقا عند السابقين من علماء الحديث وغيرهم.

أهمية اللغة العربية على ألسنة أهل الحديث

وأوّل ما يؤكّد هذا الأمر ما ورد من الآثار النبوية وآثار الصحابة وأقوال علماء الشريعة . ومنهم علماء الحديث . في شأن اللغة والاهتمام بتعلّمها والحذر من الخطأ في ذلك، والتشنيع على من يصدر منه الخطأ واللحن في قوله أو كتابته، بل بلغ الأمر ببعض الصحابة إلى ضرب أولادهم على ما يقع منهم من لحن وتصحيف.

وإنّ الآثار الواردة في ذلك كثيرة جدّا، بلغت مبلغ التواتر المعنوي، نكتفي منها ببعضها في هذه العجالة.

وقد تضافرت نصوص كثيرة من أحاديث نبوية، وآثار عن الصحابة والتابعين، وأقوال عن أئمة الإسلام وعلماء الحديث، وكلّها تؤكّد وتقرّر هذه الحقيقة، نذكر من ذلك ما يأتي:

١ . فمن الأحاديث ما رواه الحاكم، من

حديث أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا قَرَأَ فَلَحَنَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "أَرْشِدُوا أَخَاكُمْ"(١).

٢ ـ ومن آثار الصحابة ما جاء عن عمر بن الخطاب أنّه قال: (تعلّموا السنّة والفرائض واللحن، كما تتعلّمون القرآن)(٢). والمراد باللحن هنا: اللغة.

وفي رواية أخرى عن عمر بن زيد، قال: كتب عمر إلى أبي موسى: (أمّا بعد، فتفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية)(٣).

وفي الأخبار أنّه رضي الله عنه بعث إلى أهل أذربيجان: "تعلَّموا العربية"(٤).

وعنه أيضا أنّه قال: "تعلموا العربية فإنها من دينكم، وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم"(٥).

قال ابن القيم: " وهذا الذي أمر به عمر رضي الله عنه من فقه العربية وفقه الشريعة، يجمع ما يحتاج إليه؛ لأن الدين فيه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه أقواله، وفقه السنة هو فقه أعماله "(٦).

وعنه أيضا قال: " تعلموا العربية، فإنها تزيد في المروءة "(٧).

ومن ذلك أيضا ما ورد عن نافع عن ابن عمر أنه: (كان يضرب ولده على اللحن)(٨).

وقد نقل هذا أيضا عن ابن عباس أنّه كان يضرب ولده على اللَّحن(٩).

وروى عمر بن نافع عن أبيه، قال: كان رجل إلى جنب ابن عمر فلحن، فأرسل إليه: إما أن تنحَّى عنا، وإما أن نتنحّى عنك(١٠).

وعن أبي بن كعب، قال: «تعلموا العربية كما تعلمون حفظ القرآن"(١١).

وقد اشتد نكير العلماء على من قصر باعه في علوم اللغة وهو يروم الكلام في الشريعة، ويقتحم حصونها المنيعة، وإنّ من شأن ذلك أن يوقعه في اللحن والتصحيف والتحريف، وما يلحقه بسبب ذلك من المعرّة والقدح والانتقاص.

ولذلك شدّد كثير من سلف هذه الأمّة على وجوب تعلّم اللغة العربية.

ومن ذلك أيضاً ما جاء عن الإمام الشافعي من وجوب أن يكون العالم بصيرا باللغة، بصيرا بالشعر، وأنّه ـ يعني الشافعي ـ أقام علم العربية وأيام الناس عشرين سنة، فقيل له في ذلك، فقال: (ما أردت بها إلاّ الاستعانة للفقه). وجاء عن إبراهيم الحربي أنّه قال: (من تكلّم في الفقه بغير لغة تكلّم بلسان قصير)(١٢).

وقال شعبة: (من طلب الحديث ولم يبصر العربية، فمثله كمثل رجل عليه برنس ليس له رأس)(١٣).

وقال حماد بن سلمة: (مَثَل الذي يطلب الحديث ولا يعرف النحو مثل الحمار، عليه مخلاة لا شعير فيها)(١٤).

ومن كلام التابعين ومن بعدهم ما جاء عن ابن المبارك، فقد بلغه أنّ أبا عمر بن العلاء كان يقول: "عِلمُ العربية هو الدين بعينه"، فقال: صدق؛ لأني رأيت النصارى قد عبدوا المسيح لجهلهم بذلك، قال الله تعالى في الإنجيل: "أنا ولَّدتُكَ من مريمَ، وأنتَ نَبِيّ"، فحسبوه يقول: أنا ولَدتك، وأنت بُنَيّ، بتخفيف اللام، وتقديم الباء، وتعويض الضمة بالفتحة، فكفَروا"(١٥).

وقال الامام الشافعي: "إنّ من جَهِلَ سعة لسان العرب وكثرة ألفاظها، وافتنانها في مذاهبها جَهِلَ جُملَ علم الكتاب، ومن علمها، ووقف على مذاهبها، وفَهِم ما تأوّله أهل التفسير فيها، زالت عنه الشبه الدَّاخلةُ على من جَهِلَ لسانها من "(١٦).؟؟؟

وقال ابن تيميّة رحمه الله: "فإنّ اللّسان العربي شعار الإسلام وأهله، واللّغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميّزون"(١٧).

وقال ابن تيميّة رحمه الله أيضا: "وما زال السّلف يكرهون تغييرَ شعائرِ العربِ حتى في المعاملات وهو التكلّم بغير العربية إلاّ لحاجة، كما نصّ على ذلك مالك والشافعي وأحمد، بل قال مالك: "مَنْ تكلّم في مسجدنا بغير العربية أُخرِجَ منه" مع أنّ سائر الألسن يجوز النطق بها لأصحابها، ولكن سوّغوها للحاجة، وكرهوها لغير الحاجة، ولحفظ شعائر الإسلام"(١٨).

وقال أيضا: "لا بُدّ في تفسير القرآن والحديث من أن يُعرَف ما يدلّ على مراد الله ورسوله من الألفاظ، وكيف يُفهَم كلامُه، فمعرفة العربية التي خُوطبنا بها ممّا يُعين على أن نفقه مرادَ اللهِ ورسولِه بكلامه، وكذلك معرفة دلالة الألفاظ على المعاني، فإنّ عامّة ضلال أهم البدع كان بهذا السبب، فإنّهم صاروا يحملون كلامَ اللهِ ورسولِه على ما يَدّعون أنّه دالٌّ عليه، ولا يكون الأمر كذلك"(١٩).

أمّا كلام أئمّة الحديث وعلمائه فما أكثر ما ورد عنهم في هذا الباب، يكفينا منه ما يأتي:

١ ـ قرأ مسعر على عاصم، فلحن، فقال له عاصم: أرغلت يا أبا سلمة.(٢٠)

٢ ـ قال شعبة: (تعلموا العربية فإنها تزيد في العقل).(٢١)

٣ ـ وقال الإمام النووي: "وعلى طالب الحديث أن يتعلّم من النحو والله ما يسلم به من اللحن والتصحيف"(٢٢).

ومن دلائل اهتمام علماء الحديث باللغة العربية أنّهم عقدوا في مصنفاتهم أبوابا للحديث عن التصحيف الذي يقع في أسانيد الأحاديث ومتونها، وجعلوا ذلك سببا يقدح في الراوي ويخرج حديثه عن حيّز القبول، وجعلوا من يفعل ذلك على خطر عظيم من أن يلحقه الوعيد الوارد عن النبيّ صلّى الله عليه وسلّم في قوله: "من كذب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار".

وفي هذا يقول الحافظ العراقي في ألفيته المشهورة(٢٣):

وَلْيَحْذَرِ اللَّحَّانَ وَالْمُصَحِّفَا
عَلَى حَدِيْثِه بِأَنْ يُحَرِّفَا
فَيَدْخُلاَ فِي قَوْلِه: مَنْ كَذَبَا
فَحَقُّ النَّحْوُ عَلَى مَنْ طَلَبَا

وقال الأصمعي في تأكيد هذا المعنى: "إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يكن يعرف النحو أن يدخل في جملة قوله صلى الله عليه وسلم : "من كذب عليّ متعمّدا فليتبوأ مقعده من النار"(٢٤).

ومن ذلك ما جاء عن أبي سلمة حماد بن سلمة أنه قال لإنسان: "إن لحنتَ في حديثي فقد كذبتَ عليّ فإنّي لا ألحن"(٢٥).

ويذكر أنّ سيبويه شكا إلى الخليل بن أحمد أنه سأله ـ يعني أبا سلمة ـ عن حديث هشام بن عروة عن أبيه في رجل رعُف ـ بضم العين، على لغة ضعيفة ـ فانتهره، وقال له: أخطأت، إنما هو رعَف ـ يعني بفتحها ـ فقال له الخليل: صدق، أتلقى بهذا الكلام أبا سلمة(٢٦).

بل إنّ بعضهم كان السبب في إقبالهم على تعلّم اللغة العربية هو ما وقع من أخطاء وتصحيفات في قراءتهم لنصوص الأحاديث.

فمن ذلك ما وقع لثابت البناني حين سأله الحسن البصري في كلمة (رعُف) ـ بضم العين. فقال الحسن : أتعجز أن تقول: رعَف ، فاستحى ثابت وطلب العربية حتى قيل له في انهماكه فيها: ثابت العربي(٢٧).

بل لقد أورد علماء الحديث في كتبهم أمثلة تطبيقية لما من التصحيف في الأحاديث أو أسماء الرواة بسبب الخطأ في قراءة الألفاظ على وجهها الصحيح.

ومن الأمثلة المشهورة في هذا مثالان أوردهما الحافظ ابن حجر في كتاب (الإصابة في تمييز الصحابة).

المثال الأول:

ما ذكره ابن حجر في الإصابة في ترجمة مهاجر بن مسعود، قال: (ذُكِر في الصحابة وهو وهم، فأخرج ابن أبي خيثمة من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي قال: كان مُهاجِر بن مسعود بحمص، فحدره عمر ـ يعني أمره بالنزول ـ إلى الكوفة)(٢٨).

قال ابن حجر: (ظن الذي أثبت الصحبة لمهاجر أن الرواية بكسر الجيم، وأنه اسم الصحابي، وليس كذلك، إنما أخبر الشعبي أن عبد الله بن مسعود في زمن الفتوح هاجر إلى أرض الشام، ونزل حمص، ثم رده عمر إلى الكوفة، فهاجر فعل وهو بفتح الجيم(٢٩)، وابن مسعود هو عبد الله، وهو المخبَر عنه بأنه هاجر، ومن ثم أخرج ابن أبي خيثمة هذا الأثرَ في ترجمة عبد الله بن مسعود)(٣٠).

فهذا الخطأ في إعراب الكلمة ترتب عنه عدُّ مهاجرِ بنِ مسعود صحابياً مستقلاً غيرَ عبد الله بنِ مسعود، بينما الواقع أنّه لا حقيقةَ ولا وجودَ لصحابي بهذا الاسم.

المثال الثاني:

الثاني: ما قاله الحافظ ابن حجر في ترجمة ثابت بن أبي زيد الأنصاري، قال: (ذكره بعضهم ـ يعني في الصحابة ـ مستندا إلى قول الحاكم في علوم الحديث(٣١): عزرة بن ثابت ومحمد بن ثابت وعليّ بن ثابت إخوة، أبوهم ثابت بن أبي زيد صاحبِ رسول الله p، وصاحبُ مجرور صفة لأبي زيد، وكأنّ من ذكره في الصّحابة ظنّه مرفوعاً، فيكون صفةً لثابت، وليس كذلك، والله أعلم)(٣٢).

والمقصود أنّه في حالة رفع لفظ: (صاحب) يكون بدلاً من (ثابت بن أبي زيد)، فيكون هو صاحب رسول الله p، بينما الصواب أنّه مجرور على أنّه بدل من الاسم المجرور (أبي زيد)، وهو الصحابي صاحب رسول الله p.

وثمّت أمثلة كثيرة تتعلّق بتصحيف معاني نصوص الأحاديث وغيرها، يرجع إليها في مظانّها(٣٣).

ولو رحنا نستقصي ما نقل عن هؤلاء الأعلام وغيرها في فضل العربية وتأكيد أهميتها ووجوبها لتعلم أحكام الشريعة لضاق بنا ذلك، ولكن ما ذكرناه ينبئ عما سواه.

هذا غيض من فيض من أقوال العلماء اقتصرنا على بعضها لنوقف أبناء اللغة العربية على أهمية لغتهم ومكانتها، فلعلّ ذلك يكون حافزا لهم ليولوها بعض

الاهتمام والعناية؛ لأن الاهتمام بها وتعلمها والمعرفة بها من صميم الدين حيث إنها من شعائر الاسلام، ولا يمكن أن نفهم الكتاب والسنة إلا بمعرفتها فمعرفتها واجب ديني وفرض كفاية كما صرح به العلماء، فلماذا لا نعتز بها وهي لغة إسلامنا وهي هُويتنا، وكل أمة تعتز بلغتها وإن لم تكن لغتها من اللغات الراقية، واللغة العربية من اللغات الراقية بل من أرقى اللغات إطلاقا، فلابد أن نؤدّي واجبنا نحوها، تعلّما، وتعليما ونشرا، وإبرازا لمكانتها ومنزلتها التي أرادها الله لها إذ جعلها لغة كتابه الكريم، ولسان رسوله العظيم صلّى الله عليه وسلّم.

ما ورد عن علماء الحديث من وجوب تصحيح ما يقع من اللحن في كتب الحديث.

من المسائل التي تداولها علماء الحديث بينهم كثيرا، وطال فيها نقاشهم مسألة إذا روى المحدث فلحن، فمن قائل: يرويه كما سمعه ولكنه ينبه عليه؛ لاحتمال أن يكون له وجه من العربية لا يعرفه، ومن ذلك ما عند أحمد في العلل أن رجلا حدّث عن رقبة بن مستقلة بحديث فلحن فيه، فقيل له: مالك وللحن؟! قال: هكذا حدّثني(٣٤).

ومنهم من أوجب أن يرويه - إذا كان عالما بالعربية - معربا صحيحا مقوّما، ودليل ذلك عندهم أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أفصحَ العرب و أعربَها، وقد نزّهه الله تعالى عن اللحن، وإذا كان كذلك، فالوجه أن يُروى كلامُه مهذَّبا من كل لحن(٣٥).

ولم يزل علماء الحديث يتعقب أحدهم الآخر في ألفاظ من العربية يقع اللحن في قرائتها والتصحيف في نقلها، فيردون الكلام إلى الصواب، مما يدل على براعتهم، وقوة ملكتهم، وسعة اطلاعهم على قواعد اللغة العربية وفنونها، وفي كتاب القاضي عياض (مشارق الأنوار على صحاح الآثار)، وكتاب ابن قرقول (مطالع الأنوار)، أمثلة كثيرة من هذا القبيل.

ومن أمثلة ذلك ما في مشارق الأنوار في الفطر في صيام التطوع في حديث:" أهدي لنا حيس، فقال: أدّيه، كذا لبعض الرواة، وللكافة: أرينيه، وهذا هو الأظهر، وللأول وجه. قال ابن قرقول: قلت: وعندي أن الأول تصحيف من القاضي أبي الفضل، إنما هو: أدنيه، أي: قربيه، فلحن الراوي في إسقاط الياء واعتقد جزمه فحذفها، فجاء بعده من أراء أن يقيم الإعراب، فأبدل النون ياء، وشدد الدال(٣٦).

ومن ذلك أن أيوب السختياني كان عند قتادة فلحن، فقال: أستغفرالله(٣٧).

ومن طريق الخليل بن أحمد قال: سمعت أيوب السختياني يحدث بحديث فلحن فيه فقال: أستغفر الله. يعني أنه عدّ اللحن ذنبا(٣٨).

وبلغ ببعض المحدثين أنه كان يرفض أن يحدّث من يلحن في كلامه.

فقد ذكر ابن عمار أنه كان عند عبد الله بن إدريس الأودي الكوفي يوما، قال: فحدثنا، وكان رجل يسأله فسأله، فلحن فيما سأله، فقال ابن إدريس لما رآه يلحن: ﴿تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدّا﴾، ثم قال: "لا والله إن حدثتكم اليوم بحديث"، قال: "وكان ابن إدريس إذا لحن الرجل في كلامه لم يحدثه"(٣٩).

ذكر بعض أقوال العلماء في شأن اللغة العربية في تحصيل علوم الشريعة

إنّ من أسباب الانحراف عن فهم نصوص السنة هو افتقاد كثير من طلاّب العلم والمتصدّين لدراسة الحديث لعلم اللغة، وأنا هنا أعني اللغة بكل جوانبها، بدءاً بالقواعد الأولى التي لا يعذر أحد بجهلها، وانتهاء بفقه اللغة الذي لا يمكن فهم نصوص الشريعة قرآنا وسنة بمعزل عنه.

في حين أنّ علماءنا السابقين نصّوا في كثير من مصنّفاتهم على وجوب أن يكون الراوي فقيها؛ أي في لغة العرب، عارفا بألفاظها ومعانيها وتصاريفها، لأنّ هذا من شأنه أن يعينه على فهم ألفاظ الحديث وصيانتها وحمايتها، فإذا ساقها أو ساق معناها بألفاظ من عنده لم يقع في الخطأ، وكثير من الانحراف الذي يقع فيه من يتصدّى للأخذ من السنة يكون منشؤه الجهلَ بعلوم اللغة وفقهها.

وهذه الشروط التي اشترطها العلماء تعني أن يكون العالم فقيها في لغته يعرف ألفاظها ويدرك مدلولاتها، وهذا خشية أن يروي الحديث بالمعنى فيخطئ في اختيار اللفظ المناسب لهذا المعنى أو ذاك، ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الخلل في إدراك المعاني الشرعية، ومن ثمّ وقوع الخطأ في استنباط الحكم الشرعي، وقد عرفت هذه المسألة في علوم الحديث برواية الحديث بالمعنى، وهي مسألة وقع فيها خلاف قديم بين أئمة السلف، فمذهب السلف الأوائل من الصحابة والتابعين جوازُ الرواية بالمعنى، لأنّ العرب كانوا متمكّنين من لغتهم، عارفين بألفاظها

ومقاصدها، بصيرين بمقادير التفاوت بينها، خبيرين بما يحيل معانيها، ولذلك تعدّدت ألفاظ الحديث الواحد في القصة الواحدة، ولا تفسير لذلك في الغالب إلاّ القولُ بأنّ كلّ صحابي روى الحديث بالمعنى، ولم يلتزم إيراد الحديث بألفاظه، مع بقاء المعنى واحدا لم يتغيّر.

ولكنّ الخلاف في هذه المسألة اشتدّ بعد ذلك نتيجة لظروف الناس، وأصبح لا يؤمن من أن يقع الخطأ عند الرواية بالمعنى، لذلك منع بعض العلماء من السلف الروايةَ بالمعنى في حين بقي غيرُهم على الجواز.

لكن الذي استقرّ عليه جمهور العلماء هو التفصيل:

فإن كان الراوي عالما بالألفاظ ومقاصدها، بصيرا بمقادير التفاوت بينها، خبيرا بما يحيل معانيها، جاز له الرواية بالمعنى، وإن لم يكن كذلك امتنع في حقّه ذلك.

وقد استثنى العلماء من هذا الخلاف أيضا الألفاظ المتعبّد بتلاوتها كألفاظ التشهّد والصلاة والأدعية وجوامع كلمه p فلم يجيزوا فيها الرواية بالمعنى.

وقد جعل علماء الشريعة من أوّل ما يُشترط فيمن يتصدّى للاجتهاد في أحكام الشريعة أن يكون عارفاً بلغة العرب معرفة تامّة، ولم يرخّصوا لأحد في هذا الشرط، في حين اكتفى بعضُهم في شرط القرآن والسنة أن يكون حافظاً لآيات الأحكام وأحاديثها، بل إنَّ بعضهم لم يَزِد على أن اشترط أن يَعرف المجتهد مواضعَها في المصحف ودواوين الحديث.

فعلى طالب العلم أن يُدْمن القراءة في شعر العرب وأدبه فإنّ هذا من أعظم ما يعين على امتلاك ناصية اللغة ومعرفة أسرارها وسبر أغوارها، والوقوف على أسرار ألفاظها ومعانيها.

وربّ حديث اختلف استنباط الحكم الشرعي منه بسبب اختلاف ألفاظه، وهو أمر لا يهمّ راويَ الحديث من حيث الروايةُ، ولكنّه مهمّ جدا لمن ينظر في فقه الحديث ومعرفة الحكم الشرعي منه.

وقد ذكر العلماء أمثلة كثيرة لما يقع فيه تغيّر المعنى بتغيّر اللفظ الواحد، وينبني على ذلك اختلاف العلماء في استنباط الحكم الشرعي.

فمن ذلك حديث أبي هريرة t عن النبيّ p أنّه قال: (إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلاَةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ، وَلاَ تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا)(٤٠).

هكذا روى البخاريُّ هذا الحديثَ، من طريق الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، مرفوعا، بهذا اللفظ، بينما هو عند الإمام أحمد في مسنده، من طرق، والنسائي في سننه(٤١)، وغيرهما، إلى أبي هريرة، والجملة الأخيرة فيه: (وَمَا فَاتَكُم فَاقْضُوا).

فهذا الاختلاف في اللفظ الواحد ترتّب عليه اختلاف بين الفقهاء في استنباط الحكم الشرعي.

فالذين أخذوا بلفظ: (فأتمّوا) ذهبوا إلى أنّ ما يدركُه المصلّي المسبوقُ من صلاته هو أوّلُ صلاته، وعلى هذا فما يؤدّيه بعد ذلك يكونُ آخرَ صلاته، وبناءً على ذلك فإنّه يقرأ في ركعاته التي يؤدّيها بعد سلام الإمام كما يفعل في صلاته عندما يكون منفرداً ... الخ.

أمّا الذين أخذوا بلفظ (فاقضوا) فقالوا إنّ ما يدركُه المسبوق هو آخرُ صلاته، فإذا قام ليأتي بما فاته، فإنّه يكون ذلك بدايةَ صلاته فيقرأ فيها ما يقرأه لو كان منفرداً ... الخ.

وبالرأي الأول أخذ بعض العلماء كالإمام الشافعي وغيره، وبالرأي الثاني أخذ جماعةٌ من العلماء منهم الإمام أبو حنيفة(٤٢)، وعمل مالك بكليهما على قاعدة الجمع بين الدليلين، فحمل الأولى على الأفعال، وحمل الثانية على الأقوال(٤٣).

فهذا مثال يدلّ على أهمية معرفة فقه اللغة والإحاطة بألفاظها وما يحيل معانيَها.

وممّا يتّصل بهذه النقطة وجوبُ الحرص على ضبط الألفاظ الواردة في الحديث ضبطاً صحيحاً من حيث إعرابُها، فإنّ كثيرا من الأخطاء تكون بسبب عدم ضبط اللفظ الوارد في الحديث، من حيث كونُه مرفوعاً أو منصوباً أو مجروراً أو نحو ذلك، فيترتّب على ذلك الخلل في فهم مراده p، وبالتالي الخطأ في استنباط الحكم الشرعي.

ولن أبرح هذا الموضع دون أن أذكّر بتلك القاعدة الذهبية المعتبرة التي تواترت بين العلماء، وهي قولهم: "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب".

وإذا أرنا تطبيق هذه القاعدة فيما نحن بصدده، فإنّنا نقول: إذا كان فهم الدين لا يمكن إلا باللغة العربية؛ وكان تعلّم هذا الدين واجبا على كلّ مسلم، حتى تصحّ له عقيدته وعبادته ومعاملاته، وكان هذا الأمر لا يتمّ إلاّ بهذه اللغة التي جعلها وسيلة وآلة لفهم هذا الدين، فإنّ النتيجة الحتمية لهذا وجوبُ تعلّم اللغة العربية

واللسان العربي؛ لتحقيق هذا الواجب.

علماء الحديث واهتمامهم باللغة في مرحلة التحصيل والتأليف

لم يكن علماء الحديث بِدعا في الاهتمام باللغة العربية وعلومها وفنونها تحصيلا وتأليفا واستدلالا، بل هي الظاهرة العامة، لا تكاد تخطئها العين، أو تغيب عن نظر الباحث والدارس لتراث هذه الأمة، ففي كل جوانب المعرفة الشرعية والفقهية المختلفة، وفي كل كتب التراجم والطبقات والتاريخ تقف هذه الحقيقة ماثلة للعين، فلم يُعرف في تاريخ أمتنا عالم من العلماء في فنونهم المختلفة إلا وكان له نصيبه من هذه اللغة الجميلة تحصيلا وحفظا، أو استدلالا واحتجاجا.

ولعل الواجب يفرض على الباحثين أن يولوا اهتمامهم بجمع أمثلة هذه الظاهرة الغالبة، ونحن سوف نكتفي في هذا البحث بالحديث عن بعض علماء الحديث الذين ضربوا بسهم وافر في حب هذه اللغة، والتعلق بها تحصيلا وتأليفا واستدلالا.

ولقد راعنا الأمثلة الكثيرة في هذا الجانب، لكننا سنقصر بحثنا على عينات من هؤلاء العلماء الأعلام، والجهابذة العظام، فنعرض لطرف من حياتهم ومسيرتهم مع هذه اللغة، من مبدإ نشأتهم وزمن طلبهم للعلم، ثم إسهاماتهم في إغناء مكتبة هذه اللغة بالمؤلفات الجامعة لعلوم اللغة العربية، أو تطبيقاتهم لها في مؤلفاتهم العلمية الأخرى الخاصة بالحديث وعلومه من شرح وبيان وتفسير وغير ذلك، وبعض ما لهجت به ألسنتهم أو حبرته أقلامهم من عظيم الثناء على هذه اللغة ووجوب الاهتمام بها والتعمق في دقائقها وحقائقها.

سوف نختار علَمين كبيرين من فرسان الحديث من تاريخ الإسلام، من شرق الأرض وغربها: الإمام المغربي الكبير القاضي عياض، والإمام الكبير المشرقي الحافظ ابن حجر العسقلاني، فهذان الإمامان اختلف مذهبهما الفقهي، ولكن توحدت كلمتهما في خدمة الحديث النبوي الشريف، وأغنيا المكتبة الإسلامية بالمؤلفات العظيمة في علوم الحديث، ونالت كتبهما في شرح الحديث وبيانه المنزلةَ الكبيرة، وشرّقت وغربت في طول بلاد المسلمين وعرضها.

فكيف كانت علاقتهما باللغة العربية ومبلغ اهتمامهما بها وكبير عنايتهما بهم، وإبرازهما لفنونها المختلفة.

اهتمامهما باللغة في مرحلة التحصيل

القاضي عياض:

إن نظرة في بدء نشأة القاضي عياض تبيّن لنا علاقته باللغة وعلومها منذ نعومة أظفاره، فقد كانت السنة الماضية في تعليم الأولاد الاعتناء بحفظ القرآن، وتعليم القواعد الأولى للغة العربية، بل إنّ الإمام ابن العربي ذهب إلى وجوب اقتصار تعليم الأولاد في الصغر على اللغة العربية، حتى قبل تعليم القرآن الكريم، وكانت تلك طريقة أهل الأندلس في ذلك الوقت، وقد استحسن الإمام ابن خلدون هذا المذهب، إلاّ أنّه: إنّ العوائد لا تساعد عليه، وهي أملك بالأحوال، ويقصد بذلك أنّ الناس جرت عادتهم على البدء بتعليم الأولاد كتاب الله(٤٤).

وقد بلغ القاضي عياض في العلوم شأوا بعيدا ومبلغا كبيرا، فحفظ أسماء الرجال، وثقب في علم النحو، وقيّد اللغة، وأشرف على مذاهب الفقهاء وأنحاء العلماء، وأعراض الأدباء، وتحقق بالنظم والنثر، ومهر في الفقه، وشارك في اللغة والعربية، واشتهر بالاعتناء بضبط الألفاظ النبوية على اختلاف طرقها، ومن يرى كتابه (المشارق) يرى مصداق ذلك وحقيقته.

ولا يمكن لمن ظهرت براعته في فنون اللغة وآدابها وعلومها أن يكون كذلك إلاّ إذا كان قد رضع هذه اللغة مع حليب أمّه، ونهل من معين كتبها ومؤلفات أعلامها منذ نعومة أظفاره.

ويكفي أن نسجّل هنا على سبيل الاختصار، ولتأكيد هذه الحقيقة عناوين الكتب والمؤلفات التي أخذها القاضي عياض عن شيوخه، ممّا يتصل باللغة وعلومها وفنونها، بل إنّ بعض هذه المؤلفات قرأها على أكثر من شيخ من شيوخه.

فقد قرأ الكامل لأبي العباس المبرّد، وكتاب الزاهر لابن الأنباري، والأمالي لأبي عليّ البغدادي، ومختصر العين للزبيدي، والحماسة لأبي الفتوح، قرأ كلّ ذلك على شيخه أبي عبد الله محمد بن سليمان النفزي المعروف بابن أخت غانم.

وقرأ الواضح للزبيدي، والجمل لأبي القاسم إسحاق الزجاج، والكافي لأبي جعفر النحاس، والمقتضب للمبرّد، والإيضاح للفارسي، وأدب الكاتب لابن قتيبة، وفصيح الكلام لثعلب، والأمالي لأبي عليّ، والكامل للمبرّد، قرأ كلّ هذا على شيخه أبي عليّ الحسن بن عليّ بن طريف، النحوي، التاهرتي.

وقرأ الغريبين للهروي، وأدب الكاتب

لابن قتيبة، وفصيح الكلام لثعلب، على شيخه أبي الحسن عليّ بن أحمد، المقرئ، النحوي، المعروف بابن البيذش(٤٥).

وقرأ شرح الأشعار الستة، وشرح الحماسة، وشرح شعر حبيب، على شيخه أبي الحسن عليّ بن عبد الرحمن التنوخي المعروف بابن الأخضر.

الحافظ ابن حجر

إنّ الذي يتابع ويقرأ ترجمة الحافظ ابن حجر يغلب على ظنّه أنّ هذه كانت بداية عالم أشتغل بعلوم اللغة وفنونها، وأنّه لا صلة له بالحديث وعلومه؛ وذلك لكثرة ما قرأ من كتب اللغة وعلومها على مشايخه منذ صغره.

لقد نشأ ابن حجر يتيم الأبوين، ولكنّ الله قيّض له من يرعاه ويسلك به سبيل العلم منذ صغره، فدخل الكتاب في سنّ الخامسة، وحفظ القرآن ولم يتجاوز التاسعة من عمره، وفي أثناء ذلك أقبل على تعلّم اللغة وعلومها من نحو وصرف وبلاغة وعروض، وكان من أشهر شيوخه الذين أخذ عنهم علم العربية: محمد بن محمد الغماري المصري المالكي، ومحمد بن إبراهيم الدمشقي البشتكي الأديب، والعلامة الكبير مجد الدين أبو الطاهر الفيروزآبادي شيخ اللغويين بلا مدافع، وغيرهم، وناهيك بهؤلاء الأعلام المذكورين في معرفة اللغة العربية وعلومها، فقد كان كلّ واحد منهم علما في باب من أبوابها، وموردا أمعن من مواردها، وسنَنا أبينَ من طرقها ومشاربها.

بل لقد كان له في النحو - كما له في علومه الأخرى - سند مسلسل بعلماء النحو ورجاله(٤٦).

ومن الكتب التي قرأها على مشايخه ألفية ابن مالك، قرأها على شيخه إبراهيم بن أحمد التنوخي(٤٧)، وشرح اللامية في النحو قرأ بعضا منها على ناظمها الأشموني الحنفي(٤٨).

قال تلميذه السخاوي: "ونظر في لغة العرب، ففاق في استحضارها، حتى لقد رأيت النَّواجي يأتي إليه في كلِّ شهر بما يقف عليه مِنْ ذلك وشِبْهِه، فيراجعه فيه، فيزيحُ عنه إشكاله، ويرشده إلى فهمه بديهةً، بحيث يكثر الآن تأسُّفي على عدم ضبط ما كنت أحضرُه من ذلك"(٤٩).

اهتمامهما باللغة في مرحلة التأليف والاستدلال:

القاضي عياض:

لقد ألان الله للقاضي عياض قياد اللغة، وأمكنه من ناصيتها، فبزّ بها أقرانه وتفوّق عليهم، بل إنّه تأهّل ليضع ما يصل إليه من تراث أهل اللغة المتقدمين موضع النقد، وقد ظهر هذا كثيرا في كتابه العظيم: مشارق الأنوار على صحاح الآثار.

وانظر إلى هذا المثال من الكتاب المذكور، والذي يكشف لك عن مبلغ الدقّة والمعرفة باللغة التي كان عليها هذا الإمام المحدّث الفقيه.

قال رحمه الله: "اعلم أن حرف "عن" حرف جر مثل "من"، قالوا: وهي بمعنى "من" إلا في خصائص تخصها؛ إذ فيها من البيان والتبعيض نحو ما في "من"، قالوا: إلا أن "من" تقتضي الانفصال في التبعيض، أما "عن" لا تقتضيه، تقول: أخذت من زيد مالاً، فتقتضي انفصاله، وأخذت عنه علماً فلا تقتضي انفصالاً، ولهذا اختصت الأسانيد بالعنعنة". ثمّ قال: "وهذا غير سديد، وإن قاله مُقتدًى به؛ لأنه يصح أن يقال: أخذ من علم زيد، وأخذت منه علماً، فلا تقتضي انفصالاً، وأخذت عن زيد ثوباً، فتقتضي انفصالاً، وقد حكى أهل اللسان: "حدثني فلان من فلان، بمعنى عنه، وإنما الفرق بين الانفصال والاتصال فيهما فيما يصح منه ذلك أو لا يصح، لا من مقتضى اللفظتين "(٥٠).

فانظر إلى هذا التحقيق الذي ينبئ عن الخلفية العلمية اللغوية التي يشتمل عليها هذا الإمام، ومبلغ تمكّنه من علوم اللغة العربية ودقائقها.

وفي مؤلفاته الأخرى المتعلقة بشرح الحديث، لا يكاد يمرّ حديث دون أن يدوّن القاضي عياض حوله ما يعرفه من أسرار اللغة المتعلّقة به، وتصحيح ما يراه خطأ من أقوال الشراح السابقين، يفعل ذلك بطريقة العالم العارف المطلّع على اللغة العربية وفنونها وعلومها وأسرارها.

ودونكم كتابه (إكمال المعلم) الذي أتمّ به شرح الإمام أبي عبد الله المازري لصحيح مسلم في كتابه (المعلم بفوائد مسلم)، حيث أبدع القاضي عياض في تقرير قواعد اللغة، وبيان أسرارها من خلال الوقوف على شرح هذه الأحاديث، وبيان ما فيها من علوم البلاغة والبيان والنحو والصرف وفقه اللغة، وغير ذلك.

الحافظ ابن حجر:

إنّ للحافظ ابن حجر أن يفتخر بهذه المواكب الكريمة من علماء اللغة الذين تشرّف بالتتلمذ على أيديهم، ونهل من علومهم ومعارفهم اللغوية، فأثمر ذلك كلّه هذه الظاهرة الموسوعية التي نراها في

هذا الإمام ـ وفي غيره من أئمة الحديث ـ والتي تظهر واضحة جلية من خلال العلوم والمعارف التي زخرت بها مؤلفاته، وأخصّ منها بالذكر كتابه العظيم فتح الباري، الذي قال فيه الإمام الشوكاني: لا هجرة بعد الفتح.

ورغم أنّ الحافظ ابن حجر رحمه الله اتخذ من علوم العربية سلّما ارتقى به في مدارج الكمال في دراسة الحديث والاهتمام بعلومه والنظر في معانيه، إلاّ ذلك لم يمنعه أن يترك بعض بصماته في علوم اللغة، وفي ترجمته ذكر لبعض ما شارك به في هذا الباب، وقد ذكر له من ذلك:

١ ـ عين القواعد. مختصر قواعد الإعراب لابن هشام.

٢ ـ مقدمة في العروض، شرح فيها الأبيات العروضية.

٣ ـ السهل المنيع في شواهد البديع. انتقاه من شروح البديعيات.

٤ ـ ديوان شعره الكبير. بيَّضه الشريف السيوطي، ثم كتبه من خطه الشهاب الحجازي.

٥ ـ ومختصره المسمَّى ضوء الشهاب.

الخاتمة

وفي ختام هذا البحث المتواضع يمكن استخلاص بعض النتائج الآتية:

١ ـ لقد أظهرت النصوص الكثيرة التي نقلناها، من الأحاديث والآثار وأقوال سلف هذه الأمّة من الصحابة والتابعين الواجب الجماعي لهذه الأمّة في الاعتناء باللغة العربية، والحرص على ديمومتها صافية نقية، سليمة من التصحيف والتحريف، معافاة من الخطأ واللحن، وأنّ هذا الواجب يستمدّ شرعيته من كون هذه اللغة هي لغة الوحيين القرآن والسنة، اللذين بها يفقهان، وعن طريقها تستنبط منهما المعاني والأحكام.

٢ ـ لقد ظهر من خلال هذه السطور الأهمية الكبرى التي تحتلّها اللغة العربية في ضمير علماء هذه الأمّة على اختلاف تخصصاتهم العلمية ومعارفهم الشرعية والتاريخية وغيرها؛ فما من عالم من العلماء، وفي أيّ فنّ من فنون المعرفة إلاّ كان لها حال مع هذه اللغة الجميلة، ابتداء بأخذ مبادئها الأولى صغيرا، ومرورا بالتتلمذ على أساطينها وجهابذتها شابا يافعا، وانتهاء بالإسهام في خدمتها وردّ الجميل إليها شيخا كبيرا وعالما نحريرا، وذلك عبر ما دبّجه قلمه من مؤلفات كثيرة حملت بين طياتها كثيرا من علوم هذه اللغة، شرحا وبيانا، أو استدلا واحتجاجا.

٣ ـ لقد رأينا من خلال هذه الإطلالة اليسيرة على سيرة علمين من أعلام الحديث مبلغ اهتمام علماء الحديث بهذه اللغة، فقد تضمنت مؤلفاتهم علوم هذه اللغة، من نحو وصرف وبلاغة وبيان وشعر وغير ذلك، إضافة إلى إسهام بعض في تأليف الكتب في علوم هذه اللغة.

٣ ـ إنّ الواجب يفرض على محبّي هذه اللغة وعشاقها والقائمين على مؤسساتها العلمية والتعليمية بذل الجهد في إصلاح ألسنة الباحثين وأقلامهم؛ حتى يجنبوا أبحاثهم العلمية هذه الأخطاء المريعة الكثيرة التي شاعت وذاعت، وأصبحت تشكّل ظاهرة تستدعي علاجا ناجحا؛ حماية للغة القرآن، وحماية لأجال المسلمين القادمة.

المصادر والمراجع

١. إتحاف المهرة بالفوائد المبتكرة من أطراف العشرة، لابن حجر العسقلاني، تح: مركز خدمة السنة والسيرة، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

٢. أخبار النحويين، لأبي طاهر المقرئ، تح: مجدي فتحي السيد، دار الصحابة للتراث – طنطا، ط١، ١٤١٠ هـ.

٣. الأدب المفرد، للبخاري، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط٣، ١٤٠٩ - ١٩٨٩م.

٤. الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني، تح: عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ه.

٥. اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط٧، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.

٦. إكمال تهذيب الكمال، لمغلطاي، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن محمد - أبو محمد أسامة بن إبراهيم، الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط١، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٧. الإيمان، لابن تيمية، تح: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، عمان، الأردن، ط٥، ١٤١٦هـ/١٩٩٦م.

٨. البحر الرائق شرح كنز الدقائق، لابن نجيم، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، د - ت.

٩. تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تح: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢ م.

١٠. تاريخ دمشق، لابن عساكر، تح: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥م.

١١. التبصرة والتذكرة = ألفية العراقي، للعراقي، تح: العربي الدائز الفرياطي، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض، ط٢، ١٤٢٨ هـ.

١٢. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، الجلال الدين السيوطي، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، الناشر: دار طيبة.

١٣. التقريب والتيسير لأحاديث البشير النذير، للنووي، تح: محمد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.

١٤. التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تح: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ.

١٥. تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ط١.

١٦. تهذيب اللغة، للأزهري، تح: جماعة من المحققين، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، ١٩٦٤م.

١٧. الثقات، لابن حبان، إشراف: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، ط١، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣.

١٨. جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، تح: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤م.

١٩. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، للخطيب البغدادي، تح: د. محمود الطحان، مكتبة المعارف - الرياض.

٢٠. الجواهر والدرر في ترجمة شيخ الإسلام ابن حجر، السخاوي، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٩ه - ١٩٩٩م.

٢١. حاشية ابن عابدين (رد المحتار على الدر المختار)، لابن عابدين، دار الفكر-بيروت، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٢٢. حاشية الدسوقي على الشرح الكبير، لمحمد بن أحمد بن عرفة الدسوقي، دار الفكر، بدون طبعة وبدون تاريخ.

٢٣. سنن النسائي الصغرى (المجتبى)، لأبي عبد الرحمن النسائي، تح: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٤. سير أعلام النبلاء، الذهبي، تح: شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٩، ١٤١٣.

٢٥. السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، للشوكاني، دار ابن حزم، ط١.

٢٦. شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، للزرقاني، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١.

٢٧. شعب الإيمان، لأبي بكر البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٠هـ، ط١، تح: محمد السعيد بسيوني زغلول.

٢٨. صحيح البخاري، للبخاري، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.

٢٩. الطبقات الكبرى، لابن سعد، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١، ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.

٣٠. طبقات النحويين واللغويين، لأبي بكر الزبيدي الأندلسي الإشبيلي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، ط٢.

٣١. العلل ومعرفة الرجال، لأحمد بن حنبل، تح: وصي الله بن محمد عباس، دار الخاني - الرياض، ط٢، ١٤٢٢ هـ - ٢٠١ م.

٣٢. الغنية، فهرسة شيوخ القاضي عياض اليحصبي (ت٥٤٤هـ)، تح: محمد بن عبد الكريم، الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٧٩م.

٣٣. الفتاوى الكبرى، لابن تيمية، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
٣٤. فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، تح: عبد العزيز بن باز، بيروت: دار المعرفة للطباعة والنّشر.
٣٥. فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، للسخاوي، تح: علي حسين علي، مكتبة السنة - مصر، ط١، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م
٣٦. الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تح: أبو عبد الرحمن عادل بن يوسف الغرازي، دار ابن الجوزي - السعودية، ط٢، ١٤٢١ه.
٣٧. الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار، لابن أبي شيبة، تح: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٤٠٩ه.
٣٨. كنز الكتاب ومنتخب الآداب، لأبي الحسن البونسي، تح: حياة قارة، المجمع الثقافي، أبو ظبي، ٢٠٠٤.
٣٩. الكنى والأسماء، للدولابي، تح: أبو قتيبة نظر محمد الفاريابي، دار ابن حزم، بيروت - لبنان، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.
٤٠. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر - بيروت، ط٣، ١٤١٤ هـ.
٤١. مأخذ العلم، لابن فارس، تح: محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، ط٢، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
٤٢. المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، لابن حجر العسقلاني، تح: يوسف عبد الرحمن المرعشلي، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط١، ١٤١٣ه - ١٩٩٢م.
٤٣. مختصر اختلاف العلماء، لأحمد بن سلامة الطحاوي، تح: د. عبد الله نذير أحمد، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط٢، ١٤١٧ه.
٤٤. المدخل إلى السنن الكبرى، لأبي بكر البيهقي، تح: محمد ضياء الرحمن الأعظمي، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي، الكويت.
٤٥. المستدرك على الصحيحين، للحاكم النيسابوري، تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩٠م.
٤٦. مسند أحمد بن حنبل، لأحمد بن حنبل الشّيباني (ت٢٤١هـ)، ط٤، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٤٧. مسند الحميدي، لأبي بكر الحميدي، تح: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، مكتبة المتنبي، بيروت، القاهرة.
٤٨. مشارق الأنوار على صحاح الآثار، للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث.
٤٩. مطالع الأنوار على صحاح الآثار، لابن قرقول، تح: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية - قطر، ط١، ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢م.
٥٠. معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، لياقوت الحموي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
٥١. معرفة علوم الحديث، للحاكم النيسابوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ط٢، تح: السيد معظم حسين.
٥٢. مقدمة ابن خلدون، لعبد الرحمن بن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط١، ١٤٢٥ه - ٢٠٠٤م.
٥٣. نيل الأوطار، للشوكاني، تح: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر، ط١، ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م
٥٤. الوقف والابتداء، لأبي بكر الأنباري، تح: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩١ه - ١٩٧١م.

الهوامش

(١) المستدرك على الصحيحين، ٤٧٧/٢، وقال: "صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ"، ووافقه الذهبي، وأورده ابن حجر في إتحاف المهرة، ونقل قول الحاكم في الحكم عليه بأنّه صحيح الإسناد. ولكنّ الألباني طعن في صحّة الحديث؛ بجهالة أحد رواته، فالله أعلم.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي (٢٥٧/٢، ٤٢٩)، المدخل إلى السنن الكبرى للبيهقي (٢٦٦/١).

(٣) جامع بيان العلم وفضله، ١٢٣/٢، ١٦٨. وروي قريب منه في شعب الإيمان (٤٢٨/٢).

(٤) طبقات النحويين واللغويين، ١٢.

(٥) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ١١٧/٦، بلفظ: " تعلّموا اللحن والفرائض فإنّه من دينكم". وفي إيضاح الوقف والابتداء، ١٥/١، عن مورق العجلي قال: "كتب عمر بن الخطاب، رضي الله عنه: أن تعلَّموا الفرائض والسنة واللحن كما تعلَّمون القرآن". وانظر: اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٢٨/١.

(٦) اقتضاء الصراط المستقيم، ٥٢٨/١.

(٧) شعب الإيمان، ٢١٠/٣. وفي رواية: "تعلموا العربية فإنها تثبت العقل، وتزيد في المروءة ". وفي رواية: " فإنها تُشبِّب العقل". طبقات النحويين واللغويين، ١٣.

(٨) رواه ابن أبي شيبة في مصنفه، ٢٤٠/٥، والبخاري في الأدب المفرد، ٣٠٤، وابن عبد البر في جامعه، ١١٣٣/٢، وغيرهم، وإسناده صحيح.

(٩) كنز الكتاب ومنتخب الأدب، ٨٧/١.

(١٠) أخبار النحويين لأبي طاهر المقرئ، ص٣٠.

(١١) مصنف ابن أبي شيبة، ١١٦/٦. المدخل إلى السنن الكبرى، ٤٢٩/٢.

(١٢) الفقيه والمتفقه/ ٢٢/٢.

(١٣) الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢٦/٢)، تدريب الراوي (١٠٦/٢).

(١٤) جامع بيان العلم، ابن عبد البر، ١٢٣/٢، ١٦٨. الجامع للخطيب (٢٦/٢). وورد في شعب الإيمان (٢٦٠/٢) منسوبا إلى شعبة.

(١٥) معجم الأدباء، ١٠/١.

(١٦) تهذيب اللغة، ٥/١.

(١٧) اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٣.

(١٨) الفتاوى ٢٥٥/٣٢. وله عبارات أخرى في تأكيد هذا المعنى، انظرها في: اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٠٧(، (الفتاوى ٢٥٢/٣٢)

(١٩) الإيمان، ص: ١١١.

(٢٠) رواه الدولابي في الأسماء، ٥٩٣/٢/ تاريخ دمشق، ٢٣٣/٢٥. ورغل الصبي: اذا أخذ ثدي أمه فرضعه بسرعة، ويروى بالزاي لغة فيه. انظر: لسان العرب. مادة: رغل.

(٢١) إكمال تهذيب الكمال، ٢٦٥/٦. تهذيب التهذيب، ٣٤٦/٤.

(٢٢) التقريب والتيسير لأحاديث البشير النذير، ٣٠٠.

(٢٣) ألفية العراقي، ١٤٩/١.

(٢٤) تاريخ دمشق، ٨٠/٣٧، تهذيب الكمال، ٣٨٨/١٨، معجم الأدباء، ٢٩/١. والحديث المذكور حديث متواتر لفظا ومعنى.

(٢٥) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث، ١٥٩/٣.

(٢٦) المصدر السابق.

(٢٧) المصدر السابق.

(٢٨) الإصابة (٣٨٤/٦). وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (١٥٧/٣، ٨/٦، ١٣) فإنّ فيه:(أنّ مهاجر عبد الله بن مسعود كان بحمص فحدره عمر إلى الكوفة ...) الخ .

(٢٩) مهاجر، بفتح الجيم: موضع المهاجرة. انظر: ابن منظور: لسان العرب(٢٥٢/٥).

(٣٠) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصّحابة (٣٨٤/٦).

(٣١) الحاكم: معرفة علوم الحديث (ص١٥٢).

(٣٢) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصّحابة (٤٢١/١).

(٣٣) انظر أمثلة لذلك في كتابنا: السعي الحثيث إلى شرح اختصار علوم الحديث، ص٣٨٩ ـ ٣٩٥.

(٣٤) العلل ومعرفة الرجال، ٣٨٧/١.

(٣٥) انظر: مأخذ العلم لابن فارس، ص٣٧.

(٣٦) مطالع الأنوار، ٦٠/٣.

(٣٧) الثقات لابن حبان، ٢٣/٩.

(٣٨) معجم الأدباء، ٢٣/١.

(٣٩) تاريخ بغداد، ١١/٦٩.

(٤٠) رواه البخاري. كتاب الأذان/ باب: لا يسعى إلى الصلاة وليأت بالسكينة والوقار (٢٢٨/١)، وأحمد في مسنده (٢٣٨/٢، ٣١٨، ٤٨٩، ٥٣٢)، والحميدي في مسنده (٤١٨/٢).

(٤١) المسند، ٢٣٨/٢، ٢٧٠، ٣١٨، ٤٨٩، ٥٣٢. سنن النسائي، كتاب الإمامة/ باب: السعي إلى الصلاة.

(٤٢) يراجع التمهيد لابن عبد البرّ (٢٣٤/٢٠)، والبحر الرائق (٤٠٠/١ـ٤٠٣)، وحاشية ابن عابدين (٥٩٦/١)، والسيل الجرار للشوكاني(٢٦٦/١)، ونيل الأوطار للشوكاني أيضا(١٦٤/٣)، وغيرها من فقه المذاهب لزيادة التوضيح. وانظر تحقيق الحافظ ابن حجر لهذه المسألة في فتح الباري (١١٨/٢)، وانظر أيضا: مختصر اختلاف العلماء لأحمد بن سلامة الطحاوي الجصاص (٢٩٣/١).

(٤٣) انظر تفصيل ذلك في حاشية الدسوقي (٣٤٦/١)، شرح الزرقاني (٢٠٥/١).

(٤٤) مقدمة ابن خلدون، ٣٥٥/٢.

(٤٥) انظر: الغنية، ٥٩ ـ ٦١، ١٤١، ١٧١، ١٧٥،

(٤٦) الجواهر والدرر، ١٧٣/١.

(٤٧) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ص٣٨.

(٤٨) المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، ص٤٥٥.

(٤٩) الجواهر والدرر، ١٣٩/١.

(٥٠) مشارق الأنوار على صحاح الآثار، ٨٩/٢.